

النصرة النهائية

وفي ختام الالف السنة سيجيء المسيح الى الارض مرة اخرى. ويصعبه جموع المفتدين وتحف به حاشية من الملائكة. فاذا ينزل في جلال مرهب يأمر الموتى الاشرار بأن يقوموا ليدانوا ويحكم عليهم. فيخرجون وهم جمع كبير جدا بلا عدد كرمل البحر. فيا له من فرق شاسع بين هؤلاء وأولئك الذين كان لهم نصيب في القيامة الاولى ! لقد كان الابرار متسريلين بالشباب الخالد الجميل، أما الاشرار فيحملون في أجسامهم آثار المرض والموت.

وكل عين في ذلك الجمع العظيم تلتفت لتشاهد مجد ابن الله. وبصوت واحد يصرخ الاشرار قائلين : « مبارك الآتي باسم الرب ». ليست المحبة ليسوع هي التي تلهمهم هذا الكلام بل قوة الحق تنتزع الكلام من شفاههم الكارهة انتزاعا. فكما نزل الاشرار الى قبورهم كذلك خرجوا بالعداوة للمسيح وبروح العصيان نفسيهما. ولن يُعطوا فرصة اختبار اخرى ليصلحوا نقائص حياتهم الماضية. ولن يجديهم هذا فتيلًا. فحياتهم التي قضيت في العصيان لم تجعل قلوبهم أقل صلابة. ولو أعطوا زمنَ النعمة من جديد لكانوا يقضونه في التهرب من مطالب الله واثارة العصيان ضده.

والمسيح ينزل على جبل الزيتون الذي من فوقه صعد الى السماء بعد قيامته وحيث كرر الملاكان الوعد بمجيئه الثاني. والنبي يقول : « يأتي الرب

الهي وجميع القديسين معك»، « وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق فينشق جبل الزيتون من وسطه ... واديا عظيما جدا»، « ويكون الرب ملكا على الارض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده» (زكريا ١٤: ٥ و ٤ و ٩). واذ تنزل أورشليم الجديدة من السماء بيهاها الذي يخطف الأبصار فهي تستقر في الموضع الذي قد تطهر وأعد لاستقبالها، فيدخل إليها المسيح ومعه شعبه وملائكته ويحلون في تلك المدينة المقدسة.

أما الآن فالشيطان يتأهب لخوض معركة اخيرة عظيمة للسيادة. ان سلطان الشر اذ كان مجردا من سلطانه ومنقطعا عن عمل الخداع كان شقيا ومغموما، ولكن اذ يقام الموتى الاشرار ويرى هو ذلك الجمع العظيم الى جانبه تنتعش آماله ويصمم على عدم التسليم في ذلك الصراع الهائل. وحينئذ يصف كل جيوشه من الهالكين تحت رايته وبواسطتهم يحاول تنفيذ خطته. والاشرار هم أسرى الشيطان منذ رفضوا المسيح وقبلوا حكم ذلك القائد المتمرد. وهم على استعداد لقبول مقترحاته وتنفيذ أمره. ولكن تمشيا مع خداعه ومكره القديم فهو لا يعترف بانه الشيطان. ويدعي انه الملك والمالك الشرعي للعالم الذي اغتصب منه ميراثه ظلما. وهو يصور نفسه لرعاياه المخدوعين بانه الفادي ويؤكد لهم ان قوته هي التي اخرجتهم من قبورهم وانه مزعم ان يخلصهم من أقسى طغيان. واذ يكون المسيح قد انسحب منهم فان الشيطان يجري آيات ليسند ادعاءاته. فيقوي الضعفاء ويلهم الجميع بروحه ونشاطه وقوته. ويقترح ان يتقدمهم لمحاربة معسكر القديسين للاستيلاء على مدينة الله. ويفرح جهنمي يشير الى الملايين التي لا حصر لها الذين قد اقيموا من الاموات ويعلن انه بصفته قائدا لهم هو قادر على قلب المدينة واستعادة سلطانه وملكه.

وبين ذلك الجمع الغفير توجد جماهير من الجنس الذي كان يعيش منذ عصور القدم قبل الطوفان، رجال طوال القامة ذوو عقول جبارة خضعوا لسلطان الملائكة الساقطين فكرسوا كل ذكائهم ومعرفتهم لتمجيد انفسهم، رجال قادت اعمالهم الفنية العجيبة العالم الى ان يعبد عبقريتهم ونبوغهم لكن

قسوتهم ومخترعاتهم الشريرة التي نجست الارض وشوهت صورة الله جعلته يحوهم من على وجه الخليقة. يوجد ملوك وقواد قهروا الامم، وجبابرة بأس لم ينهزموا قط في معركة، رجال حرب متكبرون طامعون كانوا يرعبون الممالك التي يقتربون منها. والموت لم يُحدث تغييرا في هؤلاء القوم. فاذ يخرجون من قبورهم يستأنفون تفكيرهم السابق نفسه. والرغبة نفسها في الغزو والفتح تحفزهم مثلما كانت تفعل عندما سقطوا.

المعركة الاخيرة ضد الله

يتشاور الشيطان مع ملائكته ثم مع هؤلاء الملوك والفاتحين والجبابة. وهم ينظرون الى القوة والجيوش العديدة التي في صفهم فيعلنون ان الجيش الذي في داخل أسوار المدينة صغير بالمقابلة مع جيوشهم وانه يمكن الانتصار عليه. ثم يرسمون خططهم للاستيلاء على غنى أورشليم الجديدة ومجدها. ففي الحال يبدأ الجميع في التأهب للقتال. ويشرع الرجال المهرة في صنع اسلحة القتال. والقواد الحربيون الذين اشتهروا بنجاحهم يصفون جموع رجال الحرب في جماعات وأقسام.

وأخيرا يصدر الامر بالانطلاق فيتقدم الى الامام ذلك الجمع الذي لا يحصى عديده، جيش لم يسبق للفاتحين الارضيين ان عبأوه ولا تضارعه كل الجيوش في مختلف العصور مجتمعة معا منذ بدأت الحرب على الارض. والشيطان الذي هو أعظم المحاربين يتقدم الجيش وملائكته يضمون قواتهم اليه لخوض هذه المعركة الاخيرة. والملوك الجبابرة هم ضمن حاشيته والجموع هائلة، وكل جماعة منها تحت قيادة قائدها الخاص. وبدقة حربية تتقدم تلك الصفوف المتماسكة الى الامام على سطح الارض المشقق الوعر نحو مدينة الله. وبناء على أمر يسوع تغلق أبواب أورشليم الجديدة فتحاصر جيوش الشيطان

المدينة ويستعدون للهجوم.

المسيح يظهر

ومرة اخرى يُظهر المسيح نفسه أمام عيون أعدائه. وفوق المدينة على ارتفاع شاهق يوجد عرش عالٍ ومرتفع على أساس من الذهب المصقول. وعلى هذا العرش يجلس ابن الله وحوله رعايا ملكوته. ولا يمكن لافصح لسان ان يصف قدرة المسيح وجلاله، ولا يمكن لقلم كاتب ان يصوره. ان مجد الله السرمدى يحيط بابنه وبهاء حضوره يملأ مدينة الله ويفيض خارج الابواب ويملاً الارض كلها بالألأئه.

واقرب الناس الى العرش هم أولئك الذين كانوا قبلاً متحمسين للشيطان، ولكن اذ كانوا كشعلات منتشلة من الحريق فقد اتّبَعوا مخلصهم في تكريس عميق قوي. ويلى هؤلاء أولئك الذين قد كملوا الصفات المسيحية واحتفظوا بها في وسط الكذب والالحاد، أولئك الذين أكرموا شريعة الله في وقت اعتبرها العالم المسيحي باطلة، وملايين من كل الاجيال الذين استشهدوا لاجل ايمانهم. وخلف هؤلاء يوجد « جمع كثير لم يستطع أحد ان يعده من كل الامم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسرلين بثياب بيض وفي ايديهم سعف النخل » (رؤيا ٧: ٩). لقد انتهت حربهم وأحرزوا الانتصار. لقد اكملوا السعي وأخذوا الجعالة. وسعف النخل التي في ايديهم هي رمز الانتصار، والثياب البيض هي رمز لبر المسيح الخالي من العيب الذي صار لهم الآن.

ثم ان المفتدين ينشدون ترنيمة حمد تعلقو ويرن صداها في كل ابهاء السماء فيقولون : « الخلاص لالهنا الجالس على العرش وللخروف » (رؤيا ٧: ١٠). والملائكة والسرافيم يشتركون باصواتهم في هذا التمجيد. وكما قد رأى المفتدون قوة الشيطان وخبثه، فقد رأوا كما لم يروا قبلاً انه لا توجد قوة غير قوة المسيح كان يمكن ان تمنحهم النصر. وفي كل ذلك الجمع

المتألق بالنور لا يوجد احد ينسب الخلاص الى نفسه كما لو انه قد انتصر بقوته وصلاحه. ولا يذكر شيء عما قد فعلوه أو قاسوه، لكن عبء كل اغنية ومطلع كل انشودة هو : « الخلاص لالهنا وللخروف ».

اصدار الحكم على العصاة

وفي محضر سكان الارض والسمااء المجتمعين يتوج ابن الله نهائيا. والآن وقد زُوِّدَ الجلال والمجد الفائقين فان ملك الملوك ينطق بحكمه ضد العصاة على سلطانه وينفذ عدله على من قد عصوا عليه وتعدوا شريعته وضايقوا شعبه وظلموهم. يقول نبي الله : « ثم رأيت عرشا عظيما أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الارض والسمااء ولم يوجد لهما موضع. ورأيت الاموات صغارا وكبارا واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الاسفار بحسب اعمالهم » (رؤيا ٢٠: ١١ و ١٢).

وحالما تفتح الاسفار وتقع عين يسوع على الأشرار يشعرون بكل خطيئة ارتكبوها. ويرون المكان نفسه الذي فيه انحرفت أرجلهم بعيدا عن طريق الطهارة والقداسة، والى أي مدى ساقتهم الكبرياء والتمرد للتعدي على شريعة الله، والتجارب الخادعة التي شجعوها على تضليلهم بانغماسهم في الخطيئة، والبركات التي عكسوها، ورسل الله الذين احتقروهم، والانذارات التي رفضوها، وأمواج الرحمة التي صدَّوها بقلوبهم العنيدة القاسية غير التائبة، كل هذه تظهر واضحة كما لو كانت مكتوبة بحروف من نار.

الصليب فوق العرش

وفوق العرش يُرى الصليب واضحا، وتظهر مشاهد تجربة آدم وسقوطه كما على شاشة بيضاء فسيحة، والخطوات المتتابعة في تدبير الغداء العظيم. فميلاد المخلص الوضع، وحياته في صباه التي قضاها في بساطة وطاعة، وعماده في

الاردن، والصوم والتجربة في البرية، وخدمته الجهارية التي كشف فيها للناس عن اثنى بركات السماء، والايام التي ازدحمت باعمال المحبة والرحمة، والليالي التي كان يقضيها ساهرا ومصليا معتزلا في الجبال، والجزاء الذي ناله من مؤامرات الحسد والكراهية والخبث في مقابل الخير العظيم الذي نالوه على يديه، والعذاب الأليم المخيف الغامض في جنسيمانى تحت الثقل العظيم لخطايا العالم كله، وتسليمه لايدي الرعاع المجرمين القتلة، والحوادث المخيفة التي حدثت في ليلة الرعب تلك، _ الاسير المستسلم وقد تركه تلاميذه الاحباء، وهو يساق بكل قسوة وعنف في شوارع اورشليم؛ ابن الله يوقّف بكل فرح وانتصار أمام حنان ويحاكّم في قصر رئيس الكهنة، وفي دار ولاية بيلاطس وأمام هيروودس الجبان القاسي، وقد سخروا به وأهانوه وعذبوه وحكم عليه بالموت، كل ذلك يصوّر بكل وضوح.

والآن تعلن المشاهد النهائية أمام ذلك الجمع الحاشد : فالمتألم الصبور يسير في الطريق الى جلجثة، ملك السماء يُعلق على الصليب، الكهنة والسوقة يهزأون بالأم احتضاره، الظلمة غير الطبيعية تغطى الارض التي تزلزلت والصخور التي تشققت والقبور التي تفتحت محددة اللحظة التي فيها أسلم فادي العالم روحه.

يبدو المنظر المخيف كما كان تماما، فالشيطان وملائكته ورعاياه لا يستطيعون الابتعاد عن الصورة التي تصور عملهم. فكل ممثل يذكر الدور الذي مثّله : هيروودس الذي قتل أطفال بيت لحم الابرياء لكي يهلك ملك اسرائيل، وهيرووديا السافلة التي يستقر على نفسها الأثمة دم يوحنا المعمدان، وبيلاطس الضعيف خادم الزمان، والجنود الساخرون، والكهنة والشيوخ والشعب المجنون الذي صرخ قائلا : « دمه علينا وعلى أولادنا » ... الجميع يرون هول جريمتهم. وعبثا يحاولون الاختباء من جلال وجه الله الذي يكسف بهاء الشمس، بينما المفتدون يطرحون أكاليلهم عند رجلي المخلص صارخين وقائلين : « لقد مات عني ! ».

وبين جموع المفتدين يوجد رسل المسيح، بولس الشجاع وبطرس الغيور ويوحنا المحب والمحبوب واخوتهم المخلصون، ومعهم الجمهور الكبير من الشهداء، بينما يوجد في خارج الاسوار مع كل ما هو دنس ورجس أولئك الذين قد اضطهدوهم وسجنوهم وقتلوهم. فهناك يوجد نيرون ذلك الوحش الذي اشتهر بالقسوة والرذيلة وهو يرى فرح الذين قد عذبهم وتمجيدهم فيما كان يجد سروره الشيطاني وهو يراهم يقاسون أرباب العذابات. وأمه هناك لتشهد نتيجة عملها ولترى كيف ان طابع خلقها الشرير قد انتقل الى ابنها، والاهواء والشهوات التي تجرأ على السير فيها وتنميتها بقوة تأثيرها ومثالها قد آتت ثمارها في الجرائم التي جعلت العالم يرتعد من هولها.

وهناك كهنة وأساقفة بابويون ممن ادعوا انهم سفراء المسيح ومع ذلك فقد لجأوا الى آلات التعذيب والسجون والحرق بالنار ليتحكموا في ضمائر شعبه. وهناك الباباوات المتكبرون الذين رفعوا انفسهم فوق الله وتجرأوا على تغيير شريعة العلي. فأبأ الكنيسة الادعاء أولئك عليهم حساب عسير يقدمونه الى الله، وهم يشتاقون الى ان يُعفوا من ذلك، ويرون في وقت متأخر جدا ان الله العليم بكل شيء يغار على شريعته وانه لا يبرر المذنب. وهم يعلمون الآن ان المسيح يقرب مصلحته بمصالح شعبه المتألمين ويحسون بقوة كلامه القائل : « بما انكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم » (متى ٢٥ : ٤٠).

ان العالم الشرير كله يقف متهما امام محكمة الله بتهمة الخيانة العظمى ضد حكم السماء. ولا يجدون من يترافع عنهم في قضيتهم، فهم بلا عذر وقد صدر ضدهم الحكم بالموت الابدي.

لقد اتضح للجميع الآن ان أجرة الخطيئة ليست الاستقلال النبيل والحياة الابدية بل العبودية والدمار والموت. والاشرار يرون ما قد اضاعوه بحياة العصيان التي عاشوها. ان ثقل المجد الابدي الاستثنائي قد احتقر عندما قُدم اليهم، ولكن كم يبدو مرغوبا فيه الآن. تقول النفس الهالكة صارخة : « كان يمكنني امتلاك كل هذا ولكنني ابعدت كل هذه الاشياء عني. أه يا له من

جنون غريب ! لقد استعصت عن السلام والسعادة والكرامة بالشقاء والعار واليأس «. والجميع يرون ان طردهم من السماء عادل. ففي حياتهم أعلنوا قائلين : « لا نريد ان يسوع هذا يملك علينا ».

لقد نظر الاشرار الى تتويج ابن الله وكأنهم ذاهلون. انهم يرون بين يديه لوحى الشريعة الالهية، الوصايا التي قد احتقروها أو عصوها. ويشهدون الدهشة المشبوبة والفرح الغامر والتمجيد الذي يقدمه المخلصون. واذا تكتسح موجة النغمات المطربة الجموع الذين خارج المدينة فالجميع يصرخون قائلين بصوت واحد : « عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الاله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين » (رؤيا ١٥ : ٣)، واذا يسقطون على وجوههم يقدمون السجود لرئيس الحياة.

هزيمة الشيطان في النهاية

ثم ان الشيطان يبدو وكأنه قد شئت قواه عندما يرى مجد المسيح وجلاله. فذاك الذي كان قبلا كروبا مظللا يذكر من اين سقط. ان الذي كان أحد السرافيم المتألقين بالنور و « ابن الصبح » كم تبدل وانحط ! لقد طُرد الى الابد من المجلس الذي كان قبلا مكرّما فيه والآن يرى آخر غيره واقفا بالقرب من الابدى ساترا مجده. لقد رأى الاكليل يوضع على رأس المسيح بيد ملاك طويل القامة جليل المنظر، ويعرف ان المركز السامي الذي يشغله هذا الملاك كان يمكن ان يشغله هو.

ثم تستعيد الذاكرة وطن برارته وطهارته والسلام والقناعة اللذين كانا من صفاته الى ان انغمس في التبرم والتذمر ضد الله والحسد للمسيح. فإتهاماته وتمرده ومخاتلاته في الحصول على السيادة وعطف الملائكة وتعصيدهم، وأصراره العنيد في عدم محاولة الرجوع عندما كان يمكن لله ان يمنحه الغفران، كل هذه ظهرت أمامه بكل جلاء. ثم يستعرض أعماله بين الناس ونتائجها : عداوة

الانسان لآخيه الانسان، وهلاك الحياة الرهيب وقيام الممالك وسقوطها وقلب العروش، وتوالي حوادث الشغب الطويلة والحروب والثورات. ثم يستعرض محاولاته المستمرة في مقاومة عمل المسيح وانحداره الى اسفل واسفل. وهو يرى ان مؤامراته الجهنمية كانت عاجزة عن اهلاك الذين وضعوا ثقتهم في يسوع. واذا ينظر الشيطان الى مملكته، ثمرة جهوده، لا يرى غير الفشل والخراب. لقد جعل جماهير من الناس يعتقدون ان مدينة الله ستكون غنيمة باردة ولكنه يعلم ان هذا كذب. ومرارا وتكرارا في سير الصراع الهائل انهزم وأرغم على التسليم. وهو يعرف تمام المعرفة قوة الاله السرمدى وجلاله.

افتضاح المضل الاكبر

لقد كان غرض المتمرد الاعظم دائما تبرير نفسه واقامة البرهان على ان سياسة الله هي المسؤولة عن العصيان. ولآجل هذه الغاية سخر كل قوى عقله الجبار. لقد عمل بترو ونظام وبنجاح مدهش اذ جعل جماهير كثيرة من الناس يقبلون تفسيره للصراع الهائل الذي ظل محتدما هذا الامد الطويل. فعلى امتداد آلاف السنين ظل رئيس التآمر هذا يُلبس الباطل ثوب الحق. ولكن ها قد اتى الوقت الذي فيه يُهزم العصيان نهائيا ويكشف الستار عن تاريخ الشيطان وصفاته. ان المخادع الاعظم في محاولته الاخيرة ان يخلع المسيح عن عرشه ويهلك شعبه ويستولي على مدينة الله انكشف القناع عن وجهه تماما. والذين اتحدوا معه يرون فشل قضيته اخيرا فشلا تاما. واتباع المسيح والملائكة الامناء يرون مدى مكائد الشيطان ضد حكم الله. وقد صار الشيطان موضوع كراهية الجميع واشمئزازهم.

يرى الشيطان ان تمرده الذي أقدم عليه بمحض اختياره لا يؤهله للسماء. لقد درب قواه على محاربة الله. وطهارة السماء وسلامها وانسجامها ستكون سبب عذاب هائل له. لقد أسكت الآن اتهاماته ضد رحمة الله وعدله.

والعار الذي حاول ان يلصقه بالرب يستقر كله عليه. والآن فها الشيطان ينحني معترفا بعدالة الحكم الذي صدر ضده.

« من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك ؟ لانك وحدك قدوس. لان جميع الامم سيأتون ويسجدون أمامك لان احكامك قد اظهرت » (رؤيا ١٥ : ٤).
والآن قد اتضح كل شك أو تساؤل في ما يختص بالحق والضلال في الصراع الهائل الطويل الامد. ونتائج العصيان وثمار طرح شريعة الله جانبا اتضحت أمام انظار كل الخلائق العاقلة. وعُرضت نتائج حكم الشيطان، على نقيض حكم الله، أمام المسكونة كلها. فاعمال الشيطان قد دانت. بينما حكمة الله وعدله وصلاحه قد تزكت تماما. وقد رؤي ان كل معاملاته في الصراع الهائل قد دُبرت بحيث تؤول الى خير شعبه الابدي وخير كل العوالم التي خلقها. « يحمذك يا رب كل أعمالك وبيارك أتقياؤك » (مزمو ١٤٥ : ١٠). ان تاريخ الخطيئة سيطل الى الأبد شاهدا على ان سعادة كل خلائق الله مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود شريعته. ومع كل الحقائق الخاصة بالصراع الهائل الذي أمامنا فكل المسكونة، المخلصون منهم والعصاة، يعلنون بغم واحد قائلين : « عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين » .

وأمام المسكونة عُرضت بكل وضوح الذبيحة العظيمة التي قدمها الآب والابن لاجل انسان. وقد أتت الساعة التي يتبوا فيها المسيح مركزه الشرعي ويتمجد فوق الرياسات والسلطين وكل اسم يسمى. انه من أجل السرور الموضوع امامه – لكي يأتي بأبناء كثيرين الى المجد – احتمل الصليب مستهينا بالخزي. ومع ان الحزن والألام والعار كانت عظيمة جدا فان السرور والمجد أعظم. انه ينظر الى المفتدين وقد تجددوا فصاروا في شبه صورته، وكل قلب يحمل الطابع الالهي الكامل، وكل وجه يعكس صورة مليكه. انه يرى فيهم نتيجة تعب نفسه فتطيب نفسه. وبصوت يصل الى اسماع الجماهير المجتمعة من الابرار والاشرار يعلن حينئذ قائلا : « هوذا مقتنى دمي ! فلأجل هؤلاء تألمت

ولاجلهم مت لكي يسكنوا في حضرتي مدى دهور الابد». وحينئذ ترتفع أنشودة الحمد من أفواه اللابسين الثياب البيض حول العرش قائلة: « مستحق هو الخروف المذبوح ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (رؤيا ٥: ١٢).

صراع اخير يائس

ولكن على الرغم من كون الشيطان قد أجبر على الاعتراف بعدالة الله والانحناء أمام سيادة المسيح فان صفاته تبقى كما هي من دون تغيير. فروح العصيان ترتد عليه كسيل جارف. واذ يمتلئ بالجنون يصمم على عدم الاستسلام في الصراع الهائل. لقد جاء الوقت الذي فيه يشتبك في صراع اخير يائس ضد ملك السماء. فيندفع في وسط رعاياه محاولا ان يلهمهم بما يعتمل في صدره من ثورة واهتياج وبشيرهم للاشتباك في الحرب في الحال. ولكن من بين الملايين التي لا تحصى الذين قد أغواهم على العصيان لا يوجد الآن ولا واحد يعترف بسيادته. لقد انتهى سلطانه. والاشرار تملأهم ذات الكراهية التي تعتمل في قلب الشيطان تجاه الله. لكنهم يرون ان قضيتهم صارت ميئوسا منها وانهم لا يستطيعون الانتصار على الرب. فيثور غضبهم ضد الشيطان وضد الذين كانوا أعوانه في الخداع، فيغضب ابليسي يرتدون عليهم.

يقول الرب: « من اجل انك جعلت قلبك كقلب الآلهة لذلك هأنذا أجلب عليك غرباء عتاة الامم فيجردون سيوفهم على بهجة حكمتك ويدنسون جمالك. ينزلونك الى الحفرة فتموت موت القتلى»، « أبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النار ... سأطرحك الى الارض وأجعلك أمام الملوك لينظروا اليك... وأصيرك رمادا على الارض امام عيني كل من يراك ... وتكون أهوالا ولا توجد بعد الى الابد » (حزقيال ٢٨: ٦ - ٨ و ١٦ - ١٩).

« لان كل سلاح المتسلح في الوغى وكل رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق مأكلا للنار»، « لان للرب سخطا على كل الامم وحموا على كل جيشهم. قد حرمهم دفعهم الى الذبح»، « يمطر على الاشرار فخاها نارا وكبريتاً وريح السموم نصيب كأسهم» (اشعيا ٩ : ٥؛ ٣٤ : ٢؛ مزمو ١١ : ٦). ان النار تنزل من عند الله من السماء، والارض تتكسر والاسلحة المخفية في أعماقها تخرج. فتخرج من فجواتها نار محرقة ونفس الصخور تشتعل بالنار. لقد جاء اليوم المتقدم كالتنور. والعناصر تذوب بحرارة متوقدة وتحترق أيضا الارض وكل المصنوعات التي فيها (ملاخي ٤ : ١؛ ٢ بطرس ٣ : ١٠). و سطح الارض يبدو كأنه كتلة واحدة ذائبة : بحيرة واسعة من النار تغلي. انه وقت الدينونة والهلاك للاشرار. « لان للرب يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون» (اشعيا ٣٤ : ٨).

ان الاشرار ينالون جزاءهم في الارض (امثال ١١ : ٣١). « يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود» (ملاخي ٤ : ١). فالبعض يهلكون كما في لحظة، بينما آخرون يتعذبون أياما طويلة. والجميع سيعاقبون « حسب أعمالهم». وحيث ان خطايا الابرار قد وُضعت على الشيطان فهو سيتألم لا لاجل عصيانه فحسب بل لاجل كل الخطايا التي جعل شعب الله يرتكبونها. وسيكون قصاصه ارهب بكثير من قصاص الذين قد أضلهم. فبعد هلاك كل من قد غرر بهم سيظل حيا وسيقاسي الاهوال. ان الاشرار يهلكون أصلا وفرعا في النار المطهرة؛ فالشيطان هو الاصل واتباعه هم الفروع. لقد وقع قصاص التعدي على الناموس كاملا، وقد أجيب كل مطالب العدل، والسماء والارض اذ تنظران ذلك تعلنان عدالة الرب.

ان عمل التخريب والهلاك الذي قام به الشيطان قد انتهى الى الابد. فخلال ستة آلاف سنة تمم الشيطان ارادته اذ ملأ الارض شقاء، وسبب الاحزان لكل خلائق المسكونة. فكل الخليقة تن وتمخض من فرط الألم. أما الآن فان خلائق الله سيتخلصون الى الابد من وجود الشيطان وتجاربه. « استراحت

اطمأنت كل الارض. هتفوا (الابرار) ترنما « (اشعياء ١٤: ٧). وسترتفع هتافات حمد وانتصار من كل المسكونة الامينة : « صوت جمع كثير » (كصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة » يُسمع قائلا : « هللوا فانه قد ملك الرب الاله القادر على كل شيء » (رؤيا ١٩: ٦).

« واذ تلتف الارض في رداء من النار المهلكة يكون الابرار ساكنين مطمئنين في المدينة المقدسة. وأولئك الذين كان لهم نصيب في القيامة الاولى ليس للموت الثاني سلطان عليهم. وفي حين ان الله هو نار آكلة للاشرار فهو لشعبه شمس ومجن (رؤيا ٢٠: ٦؛ مزمو ٨٤: ١١).

« ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لان السماء الاولى والارض الاولى مضتا » (رؤيا ٢١: ١). ان النار التي تحرق الاشرار تطهر الارض. وكل اثر من آثار اللعنة يمحي. ولن تكون هنالك نار جحيم ابدية لتذكر الابرار المفديين بعواقب الخطيئة المخيفة.

مذكر واحد

ولكن يبقى مذكر واحد، ذلك ان فادينا سيظل حاملا في جسده سمات صلبه. ففي رأسه الجريح وجنبه ويديه ورجليه توجد الآثار الوحيدة للعمل القاسي الذي قد احدثته الخطيئة. ان النبي اذ يرى المسيح في مجده يقول : « وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع وهناك استتار قدرته » (حبقوق ٣ : ٤). فذلك الجنب المطعون الذي سال منه الدم القاني الذي صالح الانسان مع الله انما هو مجد المخلص و « استتار قدرته ». انه « العظيم للخلاص » عن طريق ذبيحة الفداء، ولذلك كان قادرا على تنفيذ عدالته في من قد ازدروا برحمة الله. وسمات اتضاعه هي اسمى كرامة له، ومدى دهور الابد ستكون جروح جلجثة مبعث الحمد له وإعلانا لقدرته.

« وأنت يا برج القطيع أكمة بنت صهيون اليك يأتي ويجيء الحكم الاول »
 (ميخا ٤: ٨). لقد اتى الوقت الذي ظل القديسون يتطلعون اليه بشوق منذ سد
 لهيب السيف المتقلب طريق ابونا الاولين الى عدن، وقت « فداء المقتنى »
 (أفسس ١: ١٤). فالارض التي أعطيت للانسان أصلا على اعتبار انها مملكته
 والتي أسلمها هو للشيطان وظلت مدى هذه الحقبة الطويلة تحت سيطرة هذا
 العدو الجبار أعيدت عبر تدبير الفداء العظيم. وقد استرجع كل ما قد أضاعته
 الخبيثة. « هكذا قال الرب ... مصور الارض وصانعها. هو قررها. لم يخلقها باطلا.
 للسكن صورها » (اشعيا ٤٥: ١٨) ان غرض الله الاصلي من خلق الارض قد
 تحقق اذ صارت موطن المفتدين الابدى. «الصديقون يرثون الارض ويسكنونها الى
 الابد» (مزمور ٣٧: ٢٩).

ان الخوف من جعل الميراث العتيد يبدو ماديا أكثر من اللازم جعل كثيرين
 يفسرون الحقائق التي تقودنا الى اعتباره وطننا تفسيرا روحيا يفقدها معناها.
 لقد اكد المسيح لتلاميذه انه ماض ليعد لهم منازل في بيت الآب. فالذين يقبلون
 تعاليم كلمة الله لن يجهلوا جهلا تاما ما يختص بالمسكن السماوي. ومع ذلك
 فانه : « ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله
 للذين يحبونه » (١ كورنثوس ٢: ٩). ان لغة البشر قاصرة عن وصف مكافأة
 الابرار. ولن يعرفها الا من يرونها. ولا يمكن لعقل محدود قاصر ان يدرك مجد
 فردوس الله.

موطن المخلصين

يدعى ميراث المخلصين في الكتاب المقدس « وطننا » (عبرانيين ١١ : ١٤ – ١٦). فهناك يقود الراعي السماوي قطيعه الى ينابيع مياه حية. وشجرة الحياة تعطى كل شهر ثمرها وأوراق الشجرة لشفاء الامم. ويوجد دائما انهار جارئة صافية ونقية كالبلور وعلى وجوانبها اشجار تلقي ظلالها الوارفة على الطرق المعدة لمفتدي الرب. وهناك ترتفع السهول الفسيحة فتصير تلالا آية في الجمال وجبال الله تعلو بقممها الشامخة. وفي تلك السهول الهادئة التي بجوار الينابيع الحية يجد شعب الله، الذين ظلوا أمدا طويلا غرباء وتائهين، وطننا ومستقرا.

« ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة ». « لا يُسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصا وأبوابك تسبيحا »، « وبينون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون اثمارها. لا بينون وآخر يسكن ولا يغرسون وآخر يأكل ... يستعمل مختارياً عمل ايديهم » (اشعيا ٣٢ : ١٨ ؛ ٦٠ : ١٨ ؛ ٦٥ : ٢١ و ٢٢).

هناك « تفرح البرية والارض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس » ، « عوضا عن الشوك ينبت سرو وعوضا عن القريس يطلع آس »، « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي ... وصبي صغير يسوقها »، « لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي » قال الرب (اشعيا ٣٥ : ١ ؛ ٥٥ : ١٣ ؛ ١١ : ٦ و ٩).

ليس للالم وجود في جو السماء. ولن تكون هناك دموع ولا مواكب جنازات ولا اشارات حداد. «والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ... لان الامور الاولى قد مضت»، « ولا يقول ساكن انا مرضت. الشعب الساكن فيها مغفور الاثم » (رؤيا ٢١ : ٤ ؛ اشعيا ٣٣ : ٢٤).

وهناك أورشليم الجديدة قصة الارض الجديدة المجيدة: « اكليل جمال بيد الرب وتاجا ملكيا بكف الهك ». « لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلوري », « وتمشي شعوب المخلصين بنورها وملوك الارض يجيئون بمجدهم وكرامتهم اليها ». والرب يقول : « فابتهج باورشليم وافرح بشعبي », « هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم إلها لهم » (اشعياء ٦٢: ٣؛ رؤيا ٢١: ١١ و ٢٤؛ اشعياء ٦٥: ١٩؛ رؤيا ٢١: ٣).

وفي مدينة الله « لا يكون ليل هناك ». ولن يكون احد في حاجة الى الهجوع أو الراحة أو يرغب فيهما. ولن يشعر احد بالسامة من عمل ارادة الله وتقدير الحمد لاسمه. وسنشعر دائما بنضارة الصباح ولن نخشى من انتهائها. «ولا يحتاجون الى سراج أو نور شمس لان الرب الاله ينير عليهم» (رؤيا ٢٢: ٥). ويفوق نور الشمس ضياءً لا يبهر الابصار أو يؤذيها ومع ذلك فهو يفوق نور منتصف النهار بما لا يقاس. ومجد الله والخروف يغمر المدينة المقدسة بنور لا يخبو. والمفتدون يسرون في مجد النهار الابدي الذي لا شمس فيه.

«ولم أر فيها هيكل لان الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها» (رؤيا ٢١: ٢٢). ولشعب الله امتياز الشركة المباحة مع الآب والابن. « فاننا ننظر الان في مرآة في لغز » (١ كورنثوس ١٣: ١٢). اننا نرى انعكاسا لصورة الله كما في مرآة في اعمال الطبيعة وفي معاملاته مع الناس، ولكننا سنراه حينئذ وجها لوجه من دون ان يكون هناك حجاب يحجب الرؤية. اننا سنمثل في حضرته ونرى مجد وجهه.

انتصار محبة الله

وهناك سيعرف المفتدون كما قد عُرِفوا (١ كورنثوس ١٣ : ١٢). وستجد المحبة والعطف اللذين غرسهما الله نفسه في القلب أصدق تدريب واعذبه، والشركة الطاهرة مع الخلائق المقدسة والحياة الاجتماعية المتناسقة مع الملائكة المغبوطين ومع الرجال الامناء في كل العصور، الذين غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف، والروابط المقدسة التي توحد بين « كل عشيرة في السموات وعلى الارض » (أفسس ٣ : ١٥).

هناك ستتأمل العقول الخالدة، بسرور لا يكل، في عجائب القوة الخالقة وفي اسرار المحبة الفادية. ولن يكون هناك عدو قاس مخادع ليحرب الناس لنسيان الله. وستنمو وتتطور كل قوى النفس وتزداد مهاراتها، وتحصيل المعرفة لن يُتعب العقل ولن يرهق القوى. وهناك يمكن تنفيذ أجلّ المشاريع. وأسمى الرغائب تتحقق وأرفع المطامع تُنال، ومع ذلك تظهر ذرى ليلغها الانسان، وعجائب جديدة ليعجب بها، وحقائق جديدة عليه ليدركها، واغراض جديدة تتطلب بذل قوى العقل والنفس والجسد.

وكل كنوز المسكونة ستكون مباحة لدراسة مفتدي الله. ولكونهم غير مقيدون بقيود الفناء فسيرتفعون الى أعالي العوالم البعيدة، عوالم اختلجت قلوب أهلها بالحزن على شقاء بني الانسان وترنمت باغانى الفرحة عندما علمت بانباء النفوس المفتداة. فبفرح لا ينطق به يدخل ابناء الارض فرحَ الخلائق غير الساقطين وحكمتهم. وهم يتقاسمون معهم كنوز المعرفة والعلم التي حصلوا عليها مدى أجيال بعد أجيال في التأمل في صنع الله. وبعيون صافية ينظرون الى مجد الخليفة : الشمس والكواكب والانظمة الكونية كل منها في مسارها المحيط بعرش الله. وعلى كل الاشياء من اصغرها الى أعظمها مكتوب اسم الخالق، وفي كل شيء يظهر غنى قدرته.

واذ تمر سنو الابدية فستأتي باعلانات أغنى وأمجد عن الله
والمسيح. وكما تتجدد المعرفة فكذلك ستتجدد المحبة والوقار والسعادة وتزيد
كذلك. وكلما عرف الناس أشياء أكثر عن الله زاد اعجابهم بصفاته. واذا يكشف
يسوع أمامهم غنى الفداء والاعمال العظيمة المدهشة في الصراع الهائل مع
الشیطان فان قلوب المفتدين تخرج بتعبد حار عميق، ويفرح مذهل للعقل
يضربون على قيثاراتهم الذهبية فتتحد ربوات ربوات وألوف ألوف من الاصوات في
انشاد اغنية الحمد العظيمة.

« وكل خليفة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر
كل ما فيها سمعتها قائلة : للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة
والمجد والسلطان الى ابد الأبدین » (رؤيا ٥: ١٣).

لقد انتهى الصراع العظيم. وما عاد للخطيئة أو للخطاة وجود. وقد
صارت المسكونة كلها طاهرة. وفي عاطفة واحدة من الوفاق والفرح يشترك كل
الخلائق. ومن ذاك الذي قد خلق الجميع تفيض الحياة والنور والبهجة في كل
الاقاليم في الفضاء الذي لا حدود له. فمن أصغر ذرة الى أعظم كوكب، من حي
الى جماد، بجمالها وكمالها – كلها تشهد شهادة واحدة قائلة:

الله محبة